يوم 23 آب 2013، استيقظ العالم على موجة من أشرطة الفيديو والصور التي نشرت على مواقع التواصل الاجتماعي، ظهر فيها عدد كبير من الأطفال الذين ماتوا نتيجة تعرضهم لهجوم بغازات سامة، بحسب ناشري الصور، في الغوطة الشرقية في ريف دمشق. اتهمت المعارضة النظام السوري بهذا الهجوم. من جهتها، وكالعادة، تبنّت واشنطن هذه القضية، موجّهة أصابع الاتهام بشكل فوري إلى نظام الرئيس بشّار الأسد، مهددة بشن عدوان على سوريا. تلك التهديدات انتهت بتسوية اقترحها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أفضت إلى تخلي دمشق

سيمور هيرش
واشنطن تلاعبت بالأدلة الكيميائية لاتهام الأسد

لم يخبر باراك أوباما القصة الكاملة عندما حمّل بشار الاسد مسؤولية الهجوم الكيميائي الذي حصل قرب مدينة دمشق في21 آب الماضي. ففي بعض الحالات، أغفل معلومات استخبارية مهمة، فيما قدّم في حالات أخرى افتراضات على أنها حقائق. والاهم، أنه فشل في الاعتراف بشيء معروف لدى أجهزة الاستخبارات الاميركية وهو الآتي: ان الجيش السوري ليس الطرف الوحيد في الحرب الاهلية الذي لديه إمكانية في الوصول الى إنتاج السارين واستخدامه.

قبل أشهر من الهجوم، قدّمت وكالة الاستخبارات الاميركية سلسلة من التقارير بالغة السرية، تحتوي أدلة على أن «جبهة النصرة» المرتبطة بتنظيم «القاعدة» أتقنت آليات إنتاج السارين وتمكنت من تصنيعه بكميات. وعندما وقع الهجوم، كان على تنظيم «النصرة» أن يكون مشتبهاً فيه، لكن الادارة راوغت لتبرير توجيه ضربة ضد الاسد.

في خطابه الشهير عن سوريا في 1 ايلول الماضي، حمّل أوباما بحزم حكومة الاسد المسؤولية عن هجوم غاز السارين على محيط الغوطة الشرقية التي يسيطر عليها المتمردون. وكان واضحاً أن أي استخدام للاسلحة الكيميائية هو تخطٍّ لـ«الخط الاحمر». كان أوباما على وشك شنّ الحرب، لكنه كان سيفعل ذلك من دون أي يقين أو تأكيد عن الجهة التي ارتكبت الهجوم صباح الحادي والعشرين من آب. وفيما كان أوباما حازماً وحاسماً في خطابه بأن نظام الاسد هو من شنّ الهجوم الكيميائي، تكشف مقابلات عدة (أجراها سيمور هيرش) أخيراً مع ضباط في الجيش والاستخبارات ومستشارين، وجود «قلق شديد وغضب في بعض الأوقات، بسبب ما اعتبر مراراً وتكراراً أنه تلاعب متعمد بالاستخبارات. أحد ضباط الاستخبارات الرفيعي المستوى بعث برسالة عبر البريد الالكتروني الى زميله، قال فيها إن ادعاءات الادارة الاميركية عن مسؤولية نظام الاسد هي «خدعة». وكتب في الرسالة، ان الهجوم «لم يكن صنيعة النظام». مسؤول استخباري بارز قال (لهيرش) إن «ادارة أوباما غيرت المعلومات المتوافرة ـ من ناحية التوقيت والتسلسل ـ وذلك ليبيّن الرئيس ومستشاروه للاستخبارات أن الهجوم حصل في وقته».

غادر اوباما واشنطن في 21 آب في جولة لمدة يومين في نيويورك وبنسيلفانيا. وبحسب المكتب الاعلامي للبيت الابيض، تمّ إخباره لاحقاً في هذا اليوم عن الهجوم وتعامل الاعلام معه وغضب الناس. وبحسب هيرش، فإن «عدم وجود إنذار فوري داخل الاستخبارات الأميركية، يوضح أنه لم يكن يوجد معلومات استخبارية حول النيات السورية في الأيام التي سبقت الهجوم». ويضيف هيرش، «هناك على الاقل طريقتان بإمكان أميركا أن تعرف من خلالهما مسبقاً بالهجوم: الاثنتان مرتبطتان بأحد التقارير الاستخبارية السرية التي سرّبها ادوارد سنودن منذ أشهر».

في 29 آب، نشرت «الواشنطن بوست» الاميركية مقتطفات من الميزانية السنوية لجميع برامج الاستخبارات الوطنية. وبالتشاور مع إدارة أوباما، اكتفت الصحيفة بنشر مقتطف صغير من تقرير يتألف من 178 صفحة، فائق السرية، لكن تم تلخيصه ونشر منه قسم، وهو المتعلّق بالتعامل مع مناطق النزاع. وبحسب التقرير، «كان هناك مشكلة في إحدى المناطق، وهي الفجوة في تغطية مكتب الاسد». بمعنى آخر، لم يكن لدى «وكالة الامن القومي إمكانية الوصول الى محادثات القيادة العسكرية العليا في سوريا، والتي من شأنها أن تتضمن اتصالات مع الاسد وأوامر مثل هجوم الغاز. (منذ 21 آب، وفي الخطابات العلنية، لم تعلن إدارة أوباما أبداً أن لديها معلومات محددة تربط الأسد نفسه بالهجوم).

وضمّ تقرير «البوست» إشارة أولية إلى نظام استشعار سري داخل سوريا، يهدف الى توفير الإنذار المبكر لأي من التغيرات على حالة ترسانة الاسلحة الكيميائية. وللإشارة، يجري رصد أجهزة الاستشعار من قبل مكتب الاستطلاع القومي، الوكالة التي تسيطر على كل الأقمار الصناعية العائدة للاستخبارات الاميركية. ويكشف هيرش أن مسؤولاً كبيراً في الاستخبارات قال له إن «أجهزة استشعار مكتب الاستطلاع القومي قد زرعت بالقرب من المواقع الكيميائية في سوريا. وهي مصممة لتوفير مراقبة مستمرة لحركة رؤوس حربية كيميائية مخزنة من قبل الجيش. ولكن الأكثر أهمية بكثير، من حيث الإنذار المبكر، هو قدرة الاستشعار لتنبيه الاستخبارات الاميركية والاسرائيلية عندما يجري تحميل الرؤوس الحربية بغاز السارين»، بحسب المسؤول الاستخباري. وقال

ضابط في الاستخبارات: ادعاءات واشنطن عن مسؤولية نظام الاسد «خدعة» (أ ف ب)

حفرة تبتلع بلدة: الثابتية كانت هنا!

أول ما يمكن الحصول عليه عند محاولة البحث عن قرية الثابتية عبر الإنترنت هو تهديدات مناصري «الثورة» بـ«محوها عن وجه الأرض». هذا تماماً ما حصل للقرية الصغيرة الواقعة جنوبي حمص

ريف حمص ـ **مرح ماشي**

موجة الاهتزاز التي سبّبها الانفجار الذي استهدف قرية الثابتية، في الخامس من الشهر الجاري، شعر بها سكان وسط حمص. حين تدخل القرية المنكوبة الواقعة جنوبي المدينة، ينتابك شعور بأن الانتحاري القادم من الصحراء قصد أن يدمّر القرية ويمسحها من الوجود. كل بيوت القرية متضررة، بحسب قربها من موقع التفجير. البيوت الأقرب تحوّلت إلى ركام. أما تلك الأبعد، فأقل أضرارها تهدّم جدران. لا زجاج سليماً في نوافذ أي من بيوت القرية كلها. وفي موقع الانفجار حفرة ضخمة عمقها 3 أمتار وقطرها 10 أمتار، محاصرة بتلال من الركام.

في ذلك اليوم المشؤوم، اقتحم الانتحاري السعودي «أبو مصعب السعيد»، من تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، القرية بشاحنة محمّلة بـ 7 أطنان من المواد المتفجّرة، وفجّرها بالقرب من حسينية السيدة خديجة الكبرى. لم يصل طول أكبر قطعة تم العثور عليها من الشاحنة إلى أكثر من نصف متر. صدمة الانفجار كانت قاضية. تروي مريم: «أول شي صار انو كل واحد صار يتفقد حالو وما مصدق اذا بعدو عايش. بلا وعي ركضنا كلنا لنتطمن على اولادنا يلي عم يلعبو برا. وبعد شوي كل واحد بلش يتفقد جارو». حصيلة المجزرة 12 شهيداً؛ بينهم أربعة أطفال من عائلة واحدة، إضافة إلى عشرات الجرحى. لكن الشائعات التي ترددت في القرية فور حصول الانفجار كانت أخطر من المأساة. يشرح حسن، وهو طالب في المدرسة، بشاعة الشائعات: «كل واحد سمع معلومة صار يبهّرها. شي نسمع أنو السيارة جاية من عند الجيران في (بلدة) سكّرة، وشي نسمع أنها جاية من (بلدة) الريّان. وبلّش الاستفزاز يبيّن على وجوه العالم».

> **أبناء القرية الصغيرة لا يزيد عددهم على 4000، لم ينجر أحد منهم إلى أي استفزاز طائفي**

منزل حسن سوّي بالأرض، ومن حسن حظه أن عائلته كانت في منزل الجدّ على طرف القرية. معظم أهالي القرية باتوا بلا مأوى ينتظرون التعويض من الدولة لترميم بيوتهم أو إعادة بنائها. جلّ ما استطاعت محافظة حمص تقديمه بعدما هرع المحافظ إلى المنطقة، هو مساعدات فورية للمتضررين بما لا يتجاوز 50 ألف ليرة لكل عائلة، إضافة إلى الاهتمام بالخدمات الطارئة ضمن القرية والمساهمة في إيواء من فقدوا منازلهم. يشير خليل الى أن أول ردّ فعل بعد إسعاف الجرحى، كان من قبل الشيخ محسن الخضر، إمام القرية، الذي دعا إلى شرب فنجان قهوة في موقع الانفجار، في محاولة لامتصاص غضب الناس.

حفل التأبين للأطفال الأربعة: علي، حوراء، زينب وبتول، شكّل فرصة لتأكيد قوة علاقة الثابتيين مع جيرانهم. وفد من قريتي الريان والخضراء الواقعتين جنوبي الثابتية، يعقبه وفد من بلدة سكّرة بهدف العزاء. صور الأطفال الأربعة الذين لم تتجاوز أعمارهم 12 عاماً معلّقة على الحائط المقابل للمعزّين. والدهم يتأمل صور أطفاله، وكأنه غير مصدّق أن هذه العيون البريئة الصغيرة قد اختفت من بيته إلى الأبد.

يروي خليل كيف انقلب موقع التفجير، في اليوم التالي، إلى مهرجان تضامني وطني بين الثابتية ومحيطها من القرى المختلفة طائفياً. لم تغب ملامح الأب الحزينة عن أبناء الريان والخضراء وسكّرة الذين تعاطفوا مع نكبة القرية، فعادوا في اليوم التالي لتحية الروح الوطنية لأبناء القرية الصغيرة الذين لا يزيد عددهم على 4000، لم ينجرّ أحد منهم إلى أي استفزاز طائفي.

البحث عن معلومات تخص القرية الجريحة عبر الإنترنت يفضي إلى تعليقات تتضمن تهديدات تتوعّد بالإبادة الطائفية ومحو القرية عن الوجود. ذنب الثابتية الوحيد انتماؤها الطائفي، وانضمام عدد كبير من أبنائها إلى قوات الجيش. وهو موقف لم ينسه أنصار «الثورة». عمليات الترميم وإصلاح المنازل لا تزال جارية في قرية لطالما افتقدت اهتمام الدولة، ولم تظهر على واجهة الحدث إلا حين تذكّرها الإرهاب.